ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:10، العدد: 02(2025) ص: 50 - 69

التناص وجمالياته في شعر عثمان لوصيف (نماذج مختارة)

Intertextuality and its aesthetics in the poetry of Othman Lousifat (models)

د. سعاد طالب*

جامعة محمد بوضياف المسيلة
(الجزائر)

souaad.taleb@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025/09/25
تاريخ القبول:
2025/10/29
تاريخ النشر:
2025/12/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **التناص**
- ✓ **جمالياته**
- ✓ **أشكاله**
- ✓ **شعر**
- ✓ **عثمان لوصيف**

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة بعض دواوين الشاعر عثمان لوصيف باستخدام آلية التناص هذه الآلية التي تمثّل حوارا خفيا بين النصوص ينفتح فيه الشاعر على الذاكرة الدينية والأسطورية والتاريخية والثقافية ليعيد تشكيلها وفق منظوره الخاص.

وقد استدعى الوقوف على حيثيات هذه الظاهرة وسبر أغوارها توليفة منهجية جمعت بين الوصف والتحليل والتأويل لمقاطع شعرية من دواوين الشاعر بغية الكشف عن أشكال التناص المختلفة التي وظفها، وإبراز الوظيفة الفنية له في إنتاج المعنى وتكثيف الدلالة، ومدى تعبيره عن أفكار الشاعر ورؤاه.

والناتج أن الشاعر عثمان لوصيف أحد أهم الأصوات الشعرية المعاصرة التي استغلت هذه الآلية بشكل مكثّف وعميق واحترافي، حيث استطاع أن يحمّل نصوصه الشعرية طاقات رمزية ودلالية كثيفة ومتنوعة ليفتح باب القراءة والتأويل واسعا أمام المتلقي.

Article info

Received
25/09/2025
Accepted
29/10/2025
Published
21/12/2025

Keywords:
- ✓ *Intertextuality*
- ✓ *Its aesthetics*
- ✓ *Its form*
- ✓ *Poetry*
- ✓ *OthmanLossif*

Abstract :

This study aims to read some of the poet Othman Loucif's poetry collections using the mechanism of intertextuality. This mechanism represents a hidden dialogue between texts, in which the poet opens up to religious, mythological, historical, and cultural memory, reshaping them according to his own perspective.

Understanding the context of this phenomenon and exploring its depths required a methodological combination of description, analysis, and interpretation of poetic passages from the poet's poetry collections. This method aims to uncover the various forms of intertextuality he employed, highlight its artistic function in producing meaning and condensing significance, and the extent to which it expresses the poet's ideas and visions.

The result is that the poet Othman Loucif is one of the most important contemporary poetic voices to have exploited this mechanism extensively, deeply, and professionally. He has been able to imbue his poetic texts with dense and diverse symbolic and semantic energies, opening the door to reading and interpretation for the recipient.

* د. سعاد طالب، جامعة محمد بوضياف المسيلة souaad.taleb@univ-msila.dz

1.مقدمة

مصطلح التناص:(Intertextuality)بالانجليزية، / (Intertextualié) بالفرنسية، شاع هذا المصطلح في الستينات من ق (20) عند الغرب، وقد ظهر لأول مرة على يد الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا(julia kristeva) سنة 1966، أما عند العرب فإن الخطاب النقدي العربي المعاصر لم يعرف هذا المفهوم معرفة منهجية إلا في أواخر السبعينات من القرن الماضي، وقد عرف فوضى اصطلاحية شأنه شأن معظم المصطلحات النقدية غربية النشأة، حيث ترجم إلى اللغة العربية بمصطلحات كثيرة لعل أهمها: التناص، التفاعل النصي، النصوصية، تداخل النصوص، النص الغائب، النصوص المهاجرة، تضافر النصوص، التعدي النصي، عبر النصية، البينصوصية، التنصيص...، إلا أن أكثرها شيوعا وتداولا في الساحة النقدية العربية هو مصطلح التناص.

2. مفهوم التناص:

– **لغة:** التناص باعتباره مادة لغوية لم تذكره المعاجم العربية القديمة "فعلى الرغم من قدم المادة لم يكن لها مرجع يتصل بالبيئة الأدبية".(عبد المطلب، 1995، ص136)

ولضبطه لغويا وجب النظر في جذره اللغوي الذي يعود إلى (نصّ ونصص)، فقد ورد في لسان العرب أن "النصّ رفعُك الشيء، نصّ الحديث ينصُّه نصًّا: أي رَفَعه، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزهري، أي أرفع له وأسند. يقال نصّ الحديث إلى فلان أي رفعه، ونصّت الظبية جيدها: رفعته، ووضع على المنصّة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، ونَصَصت المتاع إذ جعلت بعضه فوق بعض، وكل شيء أظهرته فقد نصصته، ونصّ الدابة ينصّها نصّا: رفعها في السير، وقال أبو عبيد النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها، والنص والنصيص السير الشديد والحثّ، ولهذا قيل: نصَصْت الشيء رفعته".(ابن منظور، 1919، ص97-98).

جاء في معجم تاج العروس"انتصّ الرجل انقبض وتناصّ القوم بمعنى ازدحموا"، فهي هنا بمعنى الانقباض والازدحام، وهذا المفهوم قريب جدا من المفهوم الاصطلاحي الحديث له الذي يحيل إلى تداخل النصوص.

فالتناص في اللغة مصدر للفعل تناصّ(تناصص بفك الإدغام) وهو على وزن تفاعل الدال على المشاركة.

– **اصطلاحا:**

عرفته الباحث نهلة فيصل الأحمد بأنه "التفاعل النصي الصريح مع نصوص بعينها، واستحضارها استحضارا واضحا، وتضمينها في النص عن طريق آليات كثيرة ظاهرة ك(الاستشهاد) وأقل ظهورا ك(الإلماح)...وهكذا" (الأحمد، 2010، ص265)

وهو عند الباحث أحمد الزعبي "التناص في أبسط صوره يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليهعن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل". (الزعبي، 2000، ص11)

وقد حاول الباحث محمد مفتاح أن يعرض مفهوم التناص انطلاقا من طروحات جوليا كريستيفا وبارت مصطلحا عليه اسم تعالق النصوص، حيث يقول في كتابه تحليل الخطاب الشعري: "التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حَدَثٍ بكيفيات مختلفة"(مفتاح، 1992، ص121)

وبهذا يكون التناص عبارة عن حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لإنتاج نص لاحق، وهو بالنسبة للشاعر حسب رأي الباحث محمد مفتاحبمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للانسان، فلا حياة له بدونهما، ولا عيشة له خارجهما.

3. أنواعه:

قسم النقاد والدارسون التناص إلى عدة أشكال منها:

عند أحمد ناهم:

يظهر التناص عند أحمد ناهم في ثلاثة أنواع وهي التناص الخارجي "المرجعي"، التناص المرحلي، التناص الذاتي:

– **التناص الخارجي**:"هناك مرجعيات كثيرة ومتنوعة تتكئ عليها النصوص الشعرية التي ندرسها منها المرجعية الدينية، الأدبية، الأيديولوجية الأسطورية الشعبية والتاريخية وغيرها والنصوص الشعرية غالبا ما تستغل هذه المرجعيات في تكوينها البنائي والمضموني ويسمى هذا التناص بالتناص الخارجي".(ناهم، 2004، ص42)

– **التناص المرحلي**: وهو "التناص الحاصل بين نصوص جيل واحد ومرحلة زمنية واحدة ويقع هذا التناص كثيرا وذلك لأسباب عدة منها تقارب الحياة الاجتماعية والثقافية لدى نفر من المبدعين، وقد يكون الأمر عائدا إلى مسألة الانتماء إلى حزب أو جماعة أدبية أو واحدة فضلا عن وحدة اللغة والميراث".(ناهم، 2004، ص61)

التناص الذاتي: نعني بالتناص الذاتي تناص الشاعر مع نفسه (نصوصه) السابقة ويتم هذا التناص بقوانين (اجترار، امتصاص، حوار) فثمة نصوص تجتر نصوصا أخرى أو تمتصها أو تحاورها.(ناهم، 2004، ص64)

– وينقسم عند الباحث **أحمد الزعبي** إلى نوعين هما تناص مباشر، وتناص غير مباشر:

– **تناص مباشر**: "وهو استخدام الاقتباس والتضمين والاستشهاد وغيرها على أنها نماذج من التناص يستحضرها الكاتب إلى نصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الروائي أو السياق الشعري سواء كان هذا التناص تاريخيا أم دينيا أم أدبيا...إذ يقتبس النص بلغته التي ورد فيها مثل الآيات والأحاديث والأشعار والقصص".

تناص غير مباشر: "يشكل الجزء الثاني من نماذج التناص حيث يستنتج استنتاجا، ويستنبط استنباطا من النص وبخاصة الروائي وهذا ما ندعوه بتناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصاتها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها أو نسبتها إلى أصحابها، وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته، ولهذا تستنبط استنباطا وربما تخمن تخمينا"(الزعبي، 2000، ص20)

4. ترجمة الشاعر عثمان لوصيف:

ولد عثمان لُوصيف في الخامس من شهر فيفري عام واحد وخمسين تسعمائة وألف للميلاد 1951-02-05 بدائرة طولقة التابعة لولاية بسكرة بجنوب الصحراء الجزائرية، وينادي في بلدته باسم (لمين)، تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ثم انتقل إلى المعهد الإسلامي ببسكرة ليتحصل منه على شهادة الأهليةسنة1970 وفي هذه المرحلة حفظ القرآن الكريم، انتقل إلى المعهد التكنولوجي لتكوين المعلمين بباتنة ليشتغل بالتعليم بدءا من سنة 1971، واصل تعليمه بشكل حر ليصل سنة 1980 إلى جامعة باتنة والتي تحصل منها علة شهادة الليسانس سنة 1984 في الآداب، ليصبح أستاذا للتعليم الثانوي واصل دراساته العليا ليتحصل على شهادة الدكتوراه

في الأدب العالمي سنة2016 من جامعة السانية وهران ليعيّن أستاذا بقسم اللغة العربية بجامعة المسيلة، وافته المنية سنة 2018 بالمستشفى بعد معاناته الطويلة مع المرض، تحصل على العديد من الجوائز الوطنية والدولية. وأثرى المكتبة الجزائرية بمجموعة من الدواوين والدراسات النقدية نذكر منها:

- الكتابة بالنار 1982. (1)، 1986 (2).
- شبق الياسمين – 1986م.
- أعراس الملح 1988م
- الارهاصات –1997م.
- براءة – 1997م.
- غرداية – 1997م.
- اللؤلؤة – 1997م.
- نمش و هديل –1997م.
- أبجديات 1997م.

زنجبيل – 1999م.

- قراءة في ديوان الطبيعة 1999م.
- قالت الوردة 2000م.

5. ملامح التناص في دواوين الشاعر:(غرداية، نمش وهديل، الكتابة بالنار، براءة):

استحضر الشاعر عدة أشكال من التناص في الدواوين المختارة للدراسة منها:

1.5.التناص الديني: يعد التناص الديني مصدرا هاما من المصادر التي وظفها الشعراء المعاصرون لبث الحياة في تجاربهم الشعرية عبر إسباغ صفة البقاء والديمومة عليها وإكسابها عنفوانا وفاعلية وذلك لما يشكله الدين من حضور قوي ومؤثر في نفوس معظم البشر، ويقصد به تداخل النص الأدبي مع نصوص دينية معيّنة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف أو من الكتب السماوية المختلفة.

يحتل التناص الديني في كل دواوين عثمان لوصيف مكانة بارزة، فالشاعر يستلهم من القرآن الكريم والتقاليد الإسلامية العديد من الصور والمفاهيم الدينية التي تنبئ عن تشبعه بتعاليم الإسلام، وقد تنوعت استحضاراته للقرآن الكريم مابين إيحاء بمضمون الآية أو فكرتها أو استدعاء بعض المفردات والتراكيب القرآنية، أو إشارة إلى القصص القرآني بأحداثه وشخصياته والأمثلة كثيرة في دواوينه الأربعة نذكر منها:

–الاقتباس المباشر من القرآن الكريم: ويتجسد عن طريق توظيف الشاعر لمفردات وتراكيب من القرآن الكريم مثل:

جاء في **ديوان براءة** (ص22)قوله:

هل أزفت الآزفة

دخان يغشى سماء الوجوه

فالشاعر استحضر لصوغ هذا البيت قوله تعالى "أزفت الآزفة" النجم (57) أي اقتربت الساعة ودنت القيامة، ولا شك أن تقارب الصورتين بين أهوال العواصف وما تجره من غبار في المدن الصحراوية، وأهوال الساعة وما تجره من تقلبات وهلع هو ما دفع الشاعر لاجترار هذا النص القرآني.

وجاء في **ديوان غرداية** (ص73) قوله:

زلزلت النفس زلزالها المستحيل

لقد قام الشاعر في هذا المقطع بتحوير التشكيل اللغوي بما يناسب مقاصده مستعينا بقوله تعالى: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا**﴾(سورة الزلزلة الآية 1).

وجاء في ديوان **الكتابة بالنار**(ص40) قوله:

آية المجد ثورة واقتحام ليس تجدي الوساوس الخناسه

فالشطر الثاني من البيت مأخوذ من قوله تعالى:﴿**مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾(سورة الناس الآية 4).

كلها اقتباسات مباشرة من القرآن الكريم هذا بالنسبة لبعض التراكيب أما بالنسبة للمفردات فهي لا تعد ولا تحصى منها ما جاء في قوله في ديوان **الكتابة بالنار**(ص68).

كلما قلت جنة عدن،

فقد وردت **جنات عدن** بصيغة الجمع في عديد من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ**﴾(سورة ص الآية50). ومنها قوله تعالى: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**﴾.(سورة مريم الآية61). وتعني العدن الإقامة، أي جنات إقامة يخلدون فيها أعدها الله لعباده المخلصين.

-وكذا مفردة **ليلة القدر** في قوله من ديوان **نمش وهديل**(ص29)

هذه ليلة القدر، وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾(سورة القدر،الآية 1)

سندس يتندى. **ديوان غرداية**(ص36)

وقد جاءت لفظة **سندس** في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿**يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ (سورة الدخان الآية 53). وكذا في قوله تعالى أيضا: ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾(سورة الإنسان الآية 21)، وهي تعني نوع من الثياب الفاخرة وهو الديباج المصنوع من الذهب، فالشاعر هنا يصف رحلته إلى غرداية وكأنها رحلة إلى جنة عدن التي وعد الله بها عباده المتقين، مستحضرا مواصفات الجنة الحسية ونعيمها من سندس وعناقيد ونوافير رقرارقة من لجين وأباريق هذه ولا شك هي مواصفات الجنة كما ذكرها الله في القرآن الكريم.

-**الشخصيات الدينية**:استدعى الشاعر العديد من الشخصيات الدينية لأنها تتلاءم مع مدركاته الفنية والإبداعية إذ وجد في النص

القرآني صوتا مماثلا لصوته، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته، ويعيش غريبا في قومه. ومن أمثلة ذلك نجد:

شخصية الرسول: قصيدة شعاع ويأتي النبي التي جسد فيها شخصية النبي محمدصلى الله عليه وسلم يقول:ديوان **نمش وهديل**(ص39)*

ها سماؤك تفتح أبوابها

والبراق الإلهي يحملني

في رفيف جناحيه ثم يطير

السلام على الأنبياء.

أرى سدرة المنتهى تتلألأ بالخضرة الأزلية

يستحضر الشاعر في هذا المقطع حادثة الإسراء والمعراج التي يرتقي بها نحو الأعالي في رحلة يعرج فيها إلى السماء، فالشاعر لا يجد له بديلا يخلصه من همومه وأحزانه فيتقمص بذلك شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة الربانية والتي تبدأ بانفتاح السماء الإلهية، وتسخير البراق لفعل الطيران والالتقاء بالأنبياء والسلام عليهم وصولا إلى سدرة المنتهى، وهي آخر نقطة يصل إليها العروج، وهكذا تبقى رحلة الشاعر مليئة بالحزن والأسى النابع من شعوره بالاضطهاد واللامبالاة.

شخصية نوح عليه السلام: وظف حادثة الطوفان العظيم وموقف نوح عليه السلام منه في الكثير من دواوينه منها قوله: ديوان نمش وهديل، (ص77).

إِنَّهُ الطَّوْفَان

هَاتِي يَدَكِ اليُمْنَى

اركبي الفُلْكَ مَعِي وَاسْتَبْشري

ومما جاء في **ديوان الكتابة بالنار** (ص74)، في قصيدة عمودية طويلة بعنوان الطوفان حيث يقول الشاعر:

كنتُ نوحا فى فلكه يتحدى كربه في قاموسه الفياح

حاملا في دنيا سفينته من كل زوجين اثنين جيل نكاح

موكب للحياة والبعث يطوى ظلمات الأهوال والأبراح

يبدو من الواضح أن الشاعر يتقمص شخصية سيدنا نوح عليه السلام، من خلال توظيف القصة القرآنية له مع الطوفان، راسما لنفسه صورة المضحي والمنقذ، وهو الموقف نفسه عند نوح عليه السلام من خلال التصريح به في القصيدة وذكر الطوفان، فيعتبر نوح عليه السلام رمزا للنجاة والسلام فهو لم يتخل عن أنصاره من المؤمنين بل أنقذهم من الغرق المهلك، كما عمل على إنقاذ الحيوانات أيضا

* حادثة الإسراء والمعراج التي حدثت مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حينما أسري به ليلا مع جبريل عليه السلام من البيت الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس على دابة البراق، وأما المعراج فهو صعودها من بيت المقدس إلى السماوات العلى وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [سورة الإسراء الآية1].

حاملا من كل صنف زوجين. وهذا ما جاء في قوله تعالى: "حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين".(هود، الآية 40)

- **استدعاء شخصية الخضر** ديوان غرداية ص(67)

علني ألتقي الخضر

أو أرتقي الطور

أو لعل وليا من الصالحين يمر

فيلقي إليّ بخرقة شيخ الطريقة

يستحضر الشاعر في هذا المقطع شخصية الخضر وهو العبد الصالح الذي ذكره الله تعالى في سورة الكهف حيث رافقه سيدنا موسى عليه السلام وتعلم منه واشترط عليه أن يصبر فأجابه إلى ذلك، وكأن الشاعر يصول ويجول بحثا عن الحقيقة، وعن الطريق الأمثل للارتقاء، ويبدو أن الشاعر قد وظف هذه الشخصية كما وردت في القصص القرآنيمن خلال قوله تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ الآية(65)، فشخصية الخضر هنا ترمز للحكمة والعلم والشاعر بصدد البحث عن ذلك للوصول إلى مرامه، وفي ذات المقطوعة يوظف الشاعر تناصا دينيا آخر مستحضرا من خلاله شخصية سيدنا موسى عليه السلام عندما التقى بالله عز وجل في جبل الطور في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ(11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾(طه الآية 11-12).

وجاء كذلك في ذات الديوان **غرداية**، (ص 24) قوله:

أهي بلقيس تكشّف عن ساقها الطُّهر

أم ربة الشعر في صورة بشرية ؟!

فهو هنا يستذكر حادثة الملكة بلقيس مع سيدنا سليمان حينما استدعاها للإيمان، فأعد لها قصرا من البلور، أقيمت أرضيته فوق الماء، فحسبت أنها ستخوض تلك اللجة فكشفت عن ساقيها، حينها فسر لها سيدنا سليمان الأمر وهذا ما جاء قوله تعالى "قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة فكشفت عن ساقيها" (النمل الآية 44).ولا شك أن الشاعر هنا استحضر بلقيس كرمز للطهر والدهشة من القرآن الكريم واستحضر معها ربة الشعر من الأساطير الغربية والتي ترمز للجمال والإبداع وجمع بينهما في صورة واحدة تجلت له في جمال وفتنة نساء غرداية.

– التناص مع الحديث النبوي الشريف:استحضار شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال توظيف حادثة شق الصدر* التي وقعت له ليلة الإسراء كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك "أتيت ليلة أُسرِي بي، فانطُلِق بي إلى زمزم فشُرِح عن صدري ثم غُسِل بماء زمزم ثم أُنزِل" (الألباني، ص130) حيث يقول الشاعر في **ديوان غرداية**(ص37)

أحدس الآن أني أرى

باقة من حنان

يد من نوافح تمتد نحوي

تمسد أوصالي المنهكات

وتمسح حزني العتيق

ملاك يشق محارة قلبي

وينزع جرثومة الشر عني

وما مسني من صداءات

رغووطين

فلا شيء إلا المحبة

استحضر الشاعر في هذه الأبيات حادثة شق الصدر* وكيف أن عروجه الصوفي يحمله إلى عالم يتنفس طهرا، حيث فُتِح صدره ونُزع منه كل غل وحزن مسّه، فإذا به يحمل قلبا يملأه الخير والحب، ليعود إلى الأرض نقيا مطهرا.

من خلال ماسبق يبدو أن الشاعر وظف عنصر الشخصيات بطريقين؛ فمرة نجده يتقمص دورها ويلبس قناعها، حتى يتماهى معها تماما ليصبحا شخصا واحدا، وكأن ما حدث لتلك الشخصية بالأمس قد حدث معه هو اليوم، ومرة يذكرها باستحضار قصتها والتركيز على رمزيتها فقط.

– **التناص مع التراث الصوفي**: يتجلى التناص الصوفي من خلال استحضار تجارب الأولياء والصالحين والروحانيين الذين يسعون لتحقيق الاتحاد المطلق أو الحلول في الذات الإلهية، وكذا توظيف المعجم الصوفي، واستحضار أسماء شخصيات عرفت بالتصوف عبر التاريخ.

توظيف الأفكار الصوفية: يستلهم الشاعر الأفكار الصوفية المتعلقة بالتطهر والبراءة من شوائب الدنيا كوسيلة للوصول إلى الصفاء الروحي؛ وهي سمة غلبت على معظم دواوينه، حيث يقول في ديوان **براءة**(ص56)

وهل يملك المتصوف في حضرة الحق

غير الفناء..وغير الذهول

ويقول في (ص59)

كنت في زمن السكر أبحث عني.

أما في ديوان الكتابة بالنار فالشاعر يصف حالة المريد الذي يجد غربة في الطريق للوصول، فهو يتقلب بين الشوق والضياع والاحتراق والفناء في الذات الإلهية ومن أمثلة ذلك قوله في (ص45)

مهاجر عبر أعاصير الأسى والموت والحريق

* حادثة شق الصدر: وهي ما حدث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من شق لصدره على يد الملك جبريل عليه السلام، فأخرج قلبه وغسله في طست من ذهب من ماء زمزم، ثم أعاده لمكانه، قيل أنها حدثت مع النبي ثلاث مرات أولها يوم كان في بادية بني سعد، وآخرها يوم أسري به وهذا ما أكدته الأحاديث الصحيحة التي وردت في صحيح البخاري ومسلم.

ما أوحش الطريق.

ويقول في ص(52)

عابر عابر، أضيع وأفنى في انصهار الأزمان بالأزمان

ويقول في ديوان **غردايةص**(67).

لعل وليا من الصالحين يمر

فيلقي إلي بخرقة شيخ الطريقة

فالشاعر هنا يستحضر رمزين من رموز التصوف وهما الولي الصالح الذي يُرمز من خلاله إلى تحقق الكرامات، ورمز خرقة شيخ الطريقة وهي تحيل إلى انتساب روحي من طرف المريد للسير في التصوف، فالشاعر في لحظة بحث عن الخلاص الروحي.

- **توظيف الشخصيات المعروفة بالتصوف**: نلمح كذلك استحضار الشاعر لأسماء شخصيات عرفت تاريخيا بالتصوف وحب الذات الإلهية أمثال رابعة العدوية، والسهروردي في ديوان **براءة** (ص56)

- **استخدام المعجم الصوفي**: يوظف الشاعر عثمان لوصيف مفردات المعجم الصوفي بكثرة ومن ذلك ما جاء في **ديوانغردايةص**(72) كاشفني، تطهرت بالنار، برزخ الظلمات، سدة النور، معراج قدسي، وهج العشق، تنكشف الأسرار، سلافة الأرواح، ينكشف المستحيل، الحلول، التجلي...

إذن هذا التفاعل مع النصوص الصوفية يُضفي على الدواوين طابعًا تأمليًا يجمع بين الروحانية والفكر الفلسفيالذي تمتع به الشاعر لوصيف وبدا واضحا في معظم دواوينه الشعرية.

2.5. التناص الأدبي:

ونعني بالتناص الأدبي تداخل نصوص أدبية مختارة، قديمة وحديثة شعراً أو نثراً مع نص الأديب الأصلي، بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويقدمها في نصه.

ولم يقتصر شعراؤنا المعاصرون على مجرد تضمين بيت أو شطر بيت في قصائدهم بل تجاوزوا ذلك إلى الإشارة والتلميح بالبيت، كما أنهم استحضروا شخصيات أدبية حاضرة في ذهن المتلقي، وقد استطاعوا إلى حد كبير توظيف هذه الشخصيات بما يخدم نتاجهم الشعري.

- التناص مع النصوص الأدبية القديمة والحديثة:

يعتمد الشاعر على التناص مع النصوص الأدبية العربية القديمة، خاصة من الشعر الجاهلي والشعر الصوفي، من خلال استحضار بعض الأساليب البلاغية والصور المستمدة من التراث الشعري العربي، ومن ذلك ما جاء في **ديوان براءة**(ص68) في قصيدة تحمل عنوان لعنة الحطيئة:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلُّما بسوء فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجها شوّه الله خلقه فقُبّح من وجه وقبح حامله.

فالبيتان مأخوذان حرفيا من ديوان الحطيئة وهو يذم خلقته ويهجو نفسه قائلا:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلُّما بسوء فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجها قبح الله خلقه فقُبّح من وجه وقُبّح حامله (شعر الحطيئة،1951،ص144)

ولعل الشاعر هنا استحضر البيتين للتعبير عن انكساره الداخلي الذي جعله يذم نفسه صنيع الشاعر الحطيئة الذي كان ناقما هو الآخر على نفسه فهجا أمه وأباه وأهله وحتى نفسه .

وجاء ما يشبهه في **ديوان الكتابة بالنار (ص67)** من تضمين لبعض قول الأعشى في معلقته

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل. (الشنقيطي، 2005، ص201)

حيث وظف الشاعر عثمان عبارة أمشي الهوينا في قوله:

في رماد السنين أمشي الهوينا.

والشاعر هنا وظف هذا الجزء من بيت الأعشى كقيمة فنية وتراثية دون أن يحاول عن طريق هذا الشطر من البيت استدعاء شخصية صاحبه.

وفي ذات الديوان ص73 نجده يستحضر شطرا من بيت للشاعر يحي بن خلدون*،حيث يقول عثمان

خلني في دوامتي أتلاشى ما على صب في الهوى من جناح

وقد استحضر الشاعر هنا الشطر الأول من بيت القائل

ما على الصب في الهوى من جناح أن يرى حلف عبرة وافتضاح

وهي قصيدة للشاعر يحي بن خلدون ذكرت من ضمن ما ذكر من شعره في كتاب المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، ص510

كما ضمن احدى قصائده معنى من المعاني التي اشتهر بها الشاعر عنترة العبسي الذي يقول معبرا عن أنفته وعزة نفسه:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل. (بن شداد، 1964، ص87)

وفي ذات المعنى يقول عثمان:ديوان **الكتابة بالنار**(ص18)

نموت مع النسور صدى وجوعا ونأبى أن نمد يد السؤال.

فالشاعر هنا ينتحل معنى البيت المشهور لعنترة الذي يؤكد من خلاله أنه يمنع نفسه عن سؤال الآخرين، بل يتحمل آلام الجوع وجهد الطوى، ولا يهين نفسه مقابل لقيمات ينالهن، وهذا من أجمل صفات العفة التي اتصف بها عنترة. والشاعر هو الآخر يتعفف ويصنع صنيع عنترة.

كما نجده يتناص مع عناوين بعض القصائد العربية القديمة المشهورة إذ يختار عنوان لامية الفقراء-على منوال لامية العرب للشنفرى- لإحدى قصائده الموجودة في ديوان الكتابة بالنار(ص17) والتي يستحضر من خلالها أخلاق الشعراء الصعاليك.

* يحي بن خلدون من أشهر الشعراء والمؤرخين بالمغرب الإسلامي، خاصة المغرب الأوسط(تلمسان) ومن أهم علماء الدولة الزيانية، وهو الأخ الأصغر للعلامة عبد الرحمن بن خلدون ولد بتونس سنة1333م ينظر كتابه يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق بوزياني دراجي، ج3، ص11.

يعكس لوصيف تواصله العميق مع الشعر العربي التقليدي، لكنه في ذات الوقت يدمجه مع رؤيته المعاصرة، هذا التفاعل الأدبي يعزز من غنى النصوص ويمنحها طابعًا كلاسيكيًا وحداثيًا في آن واحد.

كما نجده يتناص مع الكثير من النصوص الشعرية الحديثة ففي **ديوان غرداية** يقتبس بيتين لشاعرين من أشهر شعراء العصر الحديث في الجزائر، أما أولهما فهو رجل الإصلاح ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلامة عبد الحميد بن باديس في قوله (ص28)

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب.

أما الأبيات الأخرى فهي لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا والتي يقول فيها (ص 70):

شغلنا الورى وملأنا الدنى

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

كما أنه يستعير أسلوب الشاعر بدر شاكر السياب متغزلا بالمرأة في قصيدته أنشودة المطر حيث يقول الشاعر لوصيف مخاطبا الفراشة والتي يقصد بها المرأة كذلك: عيناك زورقان يطويان بي بحر الغسق ص46 ديوان الكتابة بالنار

أما السياب فيقول:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راح ينآى عنهما القمر

عيناك حين تبسمان تورق الكروم(السياب، د.س، ص123)

– **الاستشهاد بالشخصيات الأدبية:** يُعدّ الموروث الأدبي من أكثر المصادر التراثية وأقربها إلى نفوس شعرائنا المعاصرين "فمن الطبيعي أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم، لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها، وكانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر.(عشري، 1997، ص138)

فلا غرابة إذن أن يكون توظيف شخصيات الشعراء من أكثر الأمور انتشارا في شعرنا المعاصر نظرا لطواعيتها للشاعر المعاصر وقدرتها على استيعاب أبعاد تجربته المختلفة.

والمتتبع لشعر عثمان لوصيف يلاحظ توظيفه لعدة شخصيات أدبية، مرتبطة بحادثة من الأحداث، أو بقضية من القضايا، أو بصفة من الصفات تميزها عن غيرها، محاولا أن يجعل منها شاهدة على العصر، بعد أن يبعثها من مرقدها ويسكنها في بيوت الحاضر، ويلبسها شيئا من ثياب العصر الجديد، وينطقها بلسان لم تنطق به من قبل.

– شخصية كل من الشنفرى وتأبط شرا: اللتين تم ذكرهما في قصيدته الموسومة سليل الصعاليك حيث يقول:ديوان **براءة**، (ص18).

أيها الطفل ..يا طفلي الرافض المتمرد

أيها الأشعث الأغبر المتشرد

لست مني إذن

لست مني إذن إذا لم تخوض مع الشنفرى وتأبط شرا.

نلمس من خلال هذه المقطوعة أن الشاعر يمتلك روحا تتوق للحرية والانعتاق، فهو يستحضر شعراء الصعاليك بين الفينة والأخرى وفي مواقف متعددة، توحي بتأثره الشديد بهم وبخصالهم، فالشنفرى شاعر جاهلي من فحول الطبقة الثانية، كان من فتاك العرب وعدائيهم حتى راح مثلا (أعدى من الشنفرى)،وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم قبائلهم، وإليه تنسب لامية العرب، وهي من عيون الشعر العربي، أما الشاعر تأبط شرا فهوالشاعر الصعلوك ثابت بن جابر الفهمي، الملقب بتأبط شرا، إلى جانب السفك والتصعلك امتهن الشعر وانفصل عن دائرة التقليد في القصيدة، وكلاهما تقمص دور المعارضة، رافضا الأعراف الاجتماعية السائدة، مناديا بضرورة التغيير وإحلال العدالة.

ويبدو أن الشاعر هنا استحضرهما كرمزين للتمرد على المجتمع والانتصار للفقراء والعيش على الهامش بعيدا عن سلطة القبيلة.

- شخصية الحطيئة: استحضر الشاعر شخصية الحطيئة في قصيدة بعنوان لعنة الحطيئة يقول فيها: ديوان براءة ص66.

آن أن ألعنك

يا حطيئة.. يا نحس هذا الزمان

وكأن لعنة الحطيئة حلت بالشاعر ليهجو نفسه هربا من ذاته، فالحطيئة قد هجا أمه وأباه وأقاربه وهجا نفسه، والشاعر هنا يلبس قناع الحطيئة مخاطبا نفسه ... يا نحس هذا الزمان، للتعبير عن تذمره من نفسه ومن الحياة التي يعيشها.

وجاء في ديوان نمش وهديل قوله: (ص45-46).

قرنفلة الله هاهي تطلع

تطلع من كيمياء امرئ القيس

تطلع من لعنة المتنبي

لقد حاول الشاعر عثمان من خلال قصيدة طويلة بعنوان: شعاع ويأتي النبي أن يصف رحلته مع الشعر وكيف تولد لديه لقصيدة، وكيف تتكون رؤيته الشعرية، مستدعيا شخصية الشاعرين أمرئ القيس والمتنبي، فأما الأول منهما فهو يمثل رأس شعراء العرب، وأبرزهم في التاريخ ووُصف بأنه أشعر الناس، وهو صاحب أشهر معلقة من المعلقات، والشاعر هنا يظهر تأثره بشعر أمرئ القيس، أما ثانيهما فهو المتنبي، شاعر مجيد لُقّب بشاعر العرب، ومالِيء الدنيا وشاغل الناس، له مكانة سامية لم تتح لغيره من شعراء العرب بعد الإسلام، فيوصف بأنه نادرة زمانه، إلا أن الشاعر ربطه باللعنة إشارة إلى البعد المأساوي في حياة المتنبي وما جناه عليه شعره، والشاعر هنا يتماهى مع تجربة المتنبي والمصير القاسي الذي تجره العبقرية والكبرياء على صاحبها.

3.5.التناص الأسطوري: الأسطورة هي:"مجموعة من الحكايات الطريفة المتوارثة من أقدم العهود الحافلة بضروب من الخوارق والمعجزات التي يختلط فيها الخيال بالواقع ويمتزج عالم الظواهر بما فيه من انسان وحيوان ونبات ومظاهر طبيعية بعالم ما فوق الطبيعة من قوى غيبية اعتقد الإنسان بألوهيتها فتعددت في نظره الآلهة تبعا لتعدد مظاهرها المختلفة".(داوود، 1975، ص12)

ونعني بالتناص الأسطوري استحضار الشاعر بعض الأساطير القديمة وتوظيفها في سياقات قصيدته لتعميق رؤية معاصرة يراها الشاعر في القضية التي يطرحها فيستعين بأسطورة ما تعزز هذه الرؤية.

:"لقد ظلت الأسطورة موردا سخيا للشعراء في كل عصر وفي كل بقعة يجسدون عن طريق معطياتها الكثير من أفكارهم ومشاعرهم، مستغلين ما في لغة الأسطورة من طاقات إيحائية خارقة، ومن خيال طليق لا تحده حدود". (عشري، 1997، ص174)

ولقد حاول لوصيف إعادة بعث بعض أبطال الأساطير القديمة ليجسد من خلالهم أفكاره ومشاعره التي تجد في هؤلاء الأبطال صورتها المثلى.

من الأساطير العربية التي وظفها الشاعر:

– أسطورة السندباد

–استحضار شخصية **السندباد*** وهي شخصية أسطورية من أشهر شخصيات الأدب العربي والإسلامي وتحديدا في ألف ليلة وليلة، وهو رمز للبحارة والمستكشفين في التراث العربي والإسلامي.

حيث ورد ذكره في ديوان **نمشوهديل** (ص41)

مرحبا سيدي !

هل قرأت عن السندباد الذي جنّ بالبرق

وكذا في ديوان **الكتابةبالنار** (ص25)

وفي مقلتيك يضيع الهدى السندباد

إن المميز في أسطورة السندباد* المبنية على المغامرة والترحال هو أمل العودة من جديد والدخول في مغامرة جديدة، وهذا ما دفع الشاعر أن يعيش في مغامرة جديدة ومستمرة، فالمضمون العام لشخصية السندباد والسمة الأساسية لها هي المغامرة والتجوال تظل تطالعنا من وراء كل ملمح معاصر من ملامح مغامرة الشاعر في البحث عن ذاته، وارتياده دروبا من التجربة الحياتية في سبيل اكتشاف هذه الذات، فهو في المرة الأولى استدعى شخصية السندباد ضمن رؤية رمزية حديثة خارجة عن المألوف، فالسندباد هنا ليس بحّارا تقليديا بل هو شاعر عاشق ذُهِل أمام الجمال والحقيقة، أما الاستحضار الثاني فألبسه روح الهزيمة رغم مغامراته وشجاعته، وهذا تعبير عن الذات الشاعرة وكيف تهزم أمام الجمال الإلهي.

– وادي عبقر*: يقال بأنه واد يقع في اليمن يسكنه الجن خاصة التي تلهم الشعراء الشعر، وإليه تنسب لفظة عبقري، وظفه الشاعر أكثر من مرة في ديوان **غردايا** حيث يقول في (ص18):

* السندباد: قصة خيالية من قصص ألف ليلة وليلة مضمونها المغامرة وركوب المخاطر والبحث عن المستحيل، طلال حرب، معجم أعلام الأساطير والخرافات، ص119.

رأيت كواعب عبقر ..والساحرات

رأيت السواقي وحور الجنان.

فالكواعب مأخوذة من قوله تعالى"وكواعب أترابا" (النبأ الآية 33) وهي صفة للنساء ومعناها تكعب ثديها أي صارت مثل الكعب ولم تتدل بسبب قوتهن ونضارة شبابهن، والوصف هنا ليس وصفا جسديا بقدر ماهو كناية عن نضارة الفتاة وسحر جمالها، والشاعر هنا ربط بين هذا الوصف القرآني وبين وادي عبقر للتدليل على الجمال الخلاق لنساء غرداياويقول في (ص23)

طفلة ..من ملائكة الأرض

من نور عبقر

من سدرة أزلية.

وهو قريب من المعنى السابق حيث استحضر الشاعر أسطورية وادي عبقر* للتدليل على نورانية وإشعاع وجمال هذا الملاك الأرضي المتمثل في الفتاة الجنوبية من أرض الجزائر كما ورد في نهاية القصيدة.

– **أسطورة طائر الفينيق***يقول الشاعر مستحضرا مضمون هذه الأسطورة دون التصريح مباشرة بها في قصيدة الطائر العاشق (ص63)**ديوان براءة**

في السماوات ..في السهاد

راح يفرغ شهوته الكوكبيه

عابرا تخوم الرماد

قارعا جرس الأبجدية.

وعند تتبع دلالة طائر الفينيق*الأسطوري، أو العنقاء المبثوثة في النص، فإن الشاعر يستحضر هذه الأسطورة ليعبر بها عن التجدد والانبعاث من الرماد، وأن الصراع بين الموت والحياة قائم، ولابد لقوى الخير أن تنتصر، فالموت في قاموسه ليس نهاية وإنما هو بداية وعودة قوية لعهد جديد.

ومن الأساطير الغربية وظف الشاعر:

***وادي عبقر**: قرية يسكنها الجن، وينسب إليها كل فائق جليل وتوسع الأدباء في مدلول اللفظة فأصبحت في مفهومهم كناية عن عالم سحري تقطنه مخلوقات عجيبة في خلقها وإدراكها، مسيطرة على الشعراء والفنانين موحية لهم بما ينطقون، حيث يصبحون بهذا المدلول أدوات مرددة لما يوحى إليها وليست هي في ذاتها مبتكرة أو خالقة لذلك قرب معناها من لفظة الأولمب، أو جبل الإلهام عند اليونان"جبور عبد النور، المعجم الأدبي، المؤسسة الثقافية للتأليف والنشر، بيروت، لبنان، ص170.

***طائر الفينيق**: طائر أسطوري اسمه الإغريقي Proinixs ويعني الأحمر أو الملتهب أو المشرق، يعيش هذا الطائر في الصحراء الليبية والأثيوبية، لكن رواية أخرى ترد هذه الأسطورة إلى أصول مصرية...، تمتد حياة هذا الطائر ليعيش عديد القرون، عائدا كلما هرم وشاخ إلى عشه لينشىء محرقة برفرفة جناحيه، ولكن بعد احتراقه وتحوله إلى رماد، ينبعث من جديد طائرا فتيا كأجمل ما يكون، أما الدلالات الرمزية أو الإيحائية لطائر الفينيق فتتمثل أساسا في تعبيره عن شروق الشمس وغروبها، تمثيلا للانبعاث المتعاود، لذلك مثل رمزا للتحولات الموسمية التي تحدث في الطبيعة، كما يعبر عن العود الأبدي لذروة الوجود، نقلا عن محمد الصالح بوعمراني، أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2006، ص68.

– **أسطورة بروميثيوس*** بروميثيوس كما تقول الأسطورة عاقبته الآلهة بأن ربطته في جبل لتأكل النسور من كبده نهارًا لتعود إلى الالتئام ليلا وهذه الشخصية كان لها حضور قوي عند شاعرنا، حيث يقول في ديوان براءة مخاطبا النار ص(72):

وأمس سحرت المجوس

و أغويت روح برميثيوس

أنت صفاء السماوات

فقد استعار الشاعر الرمز الأسطوري **بروميثيوس*** الذيُتَخذ كرمز للتضحية، حيث سرق بروميثيويس جذوة من النار وقدمها للبشر من أجل التدفئة، إلا أنه عوقب بربطه إلى صخرة كبيرة مع تقييد الرجلين واليدين وسلط عليه نسر يلتهم أحشاءه يوما بعد يوم إلى أن أنقذه الإله هيروكولس وعاد إلى جبال الأولمب. فالشاعر هنا بتوظيفه لهذه الأسطورة يعكس التضحية والفداء لتغيير الواقع ومنح السعادة للآخرين.

أسطورة سيزيف*: لم يصرح الشاعر تصريحا مباشرا في هذه القصيدة باسم الأسطورة بل لمح بها فقط وذلك من خلال قوله في ديوان الكتابة بالنار (ص19):

ندحرج صخرنا من غير يأس ونبقى للورى خير المثال

حلبنا الخمر من نار تلظى وخضنا البحر في دمع الغزال.

استطاع الشاعر أن يشتغل على أسطورة سيزيف ويوظفها توظيفا مضمرا، يقوم على امتصاص روح النص الأسطوري السيزيفي، دون أن يشير إلى أنه يتفاعل مع نص غائب، فسيزيف هو الذي يعاني في صمت، وهذه صورة لواقع الانسان المعاصر الذي يحمل على عاتقه ذلك الشقاء السيزيفي، متحملا عبء الثقل، لكنهيكسر قَدَر وعبثية سيزيف فهو لا يدحرج يائسا بل مصرّا على المواجهة كيعيد للحياة صورتها الطبيعية، عن طريق نشر المحبة والسلام.

4.5. التناص التاريخي:

ونعني بالتناص التاريخي تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي، فالتاريخ من المصادر التراثية المهمة إذ يستمد من واحاته قيم ونماذج تعبر عن متطلبات عصرنا وحاجاته فالأحداث والشخصيات التاريخية" ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، بل لها دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد...في صيغ وأشكال أخرى...يستغلها الشاعر المعاصر في التعبير عن

---

*بروميثيوس (بروميثيوس) Proméhtée اسمه يعني الفكر المتقدم المتبصر، وقد ارتبطت أسطورته بخلق الإنسان وظهور الحضارة، فقد قيل إن بروميثيوس خلق الانسان وسرق النار الإلهية من الآلهة في السملء وحملها إلى الأرض ووهبها للبشر كي يستطيعوا مجابهة الطبيعة، فغضب زوس وطلب من هفايستوس أن يصنع المرأة باندوراووهبها علبة احتوت على جميع الآلام والشرور، ثم قبض على بروميثيوس وقيد إلى قمة أعلى جبل في القوقاز، وكلف نسر بانتهاش كبده حتى إذا ما انتهت تجددت وعاد النسر إلى نهشها، وقيل إن أسطورة بروميثيوس ترمز إلى الإرادة البشرية الواعية والمثقفة. ينظر:طلال حرب، معجم أعلام الأساطير والخرافات، ص104هامش.

*سيزيف Sisyphe ابن أيول وملك كورنث، عرف بمكره وخبثه فعاقبته الآلهة بسبب إفشائه أسرارها، وقيل إن زوس أرسل له تاتانوس إله الموت لكن سيزيف توصل إلى تقييده، فاضطر زوس إلى إطلاقه شخصيا، ثم اقتيد سيزيف إلى عالم الموتى لكنه استطاع الفرار والعيش سنوات طويلة، وفي الختام أمسك به وعوقب بعقوبة لا تسمح له بالتفكير بأفكار جديدة للفرار، فقد حكم عليه أن يدحرج صخرة إلى أعلى الجبل تسقط عندما يصل بها إلى القمة فيعود إلى دحرجتها من جديد. ينظر طلال حرب، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1999، ص212.

بعض جوانب تجربته، ليُكسب هذه التجربة نوعا من الكلية والشمول، وليضفي عليها ذلك البعد التاريخي الحضاري الذي يمنحها لونا من ألوان العراقة"(عشري، 1997، ص120)

والشاعر عادة ما يلجأ إلى التاريخ بشكل عام سواء كان عربيا أم إنسانيا للتعبير من خلاله عن الواقع المتأزم الذي يعيشه، وليبث روح العزيمة والقوة عن طريق بعث ماضي الأمة المشرق، وعثمان لوصيف استلهم أحداث التاريخ ووقائعه وشخصياته ليعمق تجربته الشعرية، ويعرض رؤيته الفكرية، ويعبر عن مواقفه الوجدانية، و نماذج التناص التاريخي كثيرة في دواوين الشاعر منها:

أ-**التناص مع الأماكن التاريخية:**حضور المكان في شعر عثمان لوصيف يتجلى في كل دواوينه وبشكل لافت للغاية "لا يكتب عثمان لوصيف عن قرية أو مدينة أو أي مكان آخر إلا إذا تورط فيه بحب أو علاقة حميمية من خلال ما يلتقطه من خصوصيات ذلك المكان"(سعدون، 2021، ص106)

ورد في ديوان **براءة** قصيدة مطولة تزيد عن التسع صفحات تحمل عنوان وهران يقول في بعض مقاطعها (ص53)

آه.. وهران

كل الشعاب تؤدي إلى مكة

الناس في كل عام يحجون.. يعتمرون

ولكنني أنا وحدي حججت إليك

وقبلت ركنك..خضبته بالدموع

يتغنى عثمان لوصيف بسحر مدينة وهران وجمالها، مستحضرا ركنا دينيا وهو ركن الحج والعمرة إلى مكة المكرمة، والشاعر هنا يوازي بين حب المسلمين لبيت الله الحرام وبين حبّه هو لوهران هذا الحب الذي تفوّق عن كل حب، فهو يحج إليها كمكان مقدس يقابل الحج إلى مكة المكرمة.

كما وظف الشاعر في هذا السياق مجموعة من التناصات التاريخية، وهي أماكن عريقة في التاريخ العربي وتمثلت في شيراز، مصر، الشام، الأندلس، بابل، وهو يرى بأن سحر مدينة وهران أقوى من هذه المدن، فكل هذه الأماكن ترمز إلى الافتخار بالأمجاد والإنجازات الخالدة للعرب والمسلمين إلا أن وهران هي المحبوبة المقدسة.

حيث يقول في ديوان **براءة** (ص56)

تذكرت بابل، شيراز، أندلسا

مصر والشام .. لكن سحرك أقوى

ويأتي أحد دواوينه يحمل اسم ولاية من ولايات الجزائر وهو ديوان **غرداية** يقول فيه (ص13)

آه غرداية الغار..والنار

فالغار هنا هو تلميح إلى مكان نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكأن الشاعر يشير إلى أن مدينة غرداية مقام كشْف وتوهّج بالنسبة له تماما مثلها مثل الغار بالنسبة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يرمز للخلوة والاصطفاء الرباني.

وقد راح يتغنى بجمال الجزائر وجمال هذه المدينة بالضبط في ديوان كامل، فتارة يتغزل فيها تماما مثل المرأة واصفا جمالها الخلاب، وتارة يستحضر واديها المسمى ميزاب رابطا إياه بعلم من أعلام الجزائر المولود في هذه المنطقة بالذات وهو الشاعر الكبير مفدي زكريا حيث يقول عنه: ديوان **غرداية**(ص68)

من حميات الغمام

ركضت ركضت ألاحق طفلا تضرج بالشعر

الأوراس: يقول في هذا الصدد متغنيا بالأوراس في ديوان **غرداية**(ص27):

أنا البدوية بنت الذرى

من شوامخ أوراس

الونشريس

لا شك أن استحضار الشاعر لجبال الأوراس الشامخة ما هو إلا استحضار لثورة الجزائر المجيدة التي تحررت بفضلها من ربقة الاستعمار الغاشم، فمن هذا المكان بالذات انطلقت أول رصاصة معلنة بداية الثورة التحريرية الكبرى، كما استحضر جبال الونشريس هذه التي لا تقل أهمية عن جبال الأوراس في خدمتها للثورة التحريرية .

– التناص مع الشخصيات التاريخية:

"لقد شاعت في العصر الحديث ظاهرة توظيف الشخصيات التاريخية واتخاذها قناعا للتعبير عن التجارب الشعرية الحاضرة، لما في هذه الشخصيات من قوة رمزية وإيحائية، فاستدعاء الشخصيات التراثية، يستدعي بعث الماضي في الحاضر، وتكثيف الزمن الممتد في لحظة الإبداع، كما أنه يصل الأجيال الراهنة بجذورها السابقة " (مشوح، 2007، ص22)

إن الشاعر يجد في الشخصيات التاريخية رموزا للتعبير عن تجربته الشعرية، ومعادلا موضوعيا لواقعه وحاضره، فهو حين يستدعي هذه الشخصيات يستحضر معها ما تحمله من أبعاد نفسية وروحية، حيث يقول الباحث علي عشري زايد متحدثا عن الشاعر المعاصر "وأخيرا لجأ –من بين ما لجأ إليه من تكنيكات– إلى استخدام الشخصيات التراثية كمعادل موضوعي لتجربته الذاتية، حيث كان يتخذها قناعا يبث من خلاله خواطره وأفكاره" (عشري، 1997، ص20-21)

ومهما حاولنا تصنيف الشخصيات إلى تاريخية ودينية وأدبية وأسطورية وشعبية فإنها بالضرورة تبقى في جملتها تاريخية فالشخصية الصوفية هي بالضرورة تاريخية، ومثل ذلك يمكن أن يقال في معظم الشخصيات الدينية والأدبية كما أن كثيرا من الشخصيات التاريخية والدينية قد انتقلت إلى التراث الشعبي أو الأسطوري فأصبحت من الشخصيات الشعبية أو الأسطورية.

إلا أننا من خلال ما تتبعناه من نصوص شعرية لعثمان لوصيف ولغيره من الشعراء وجدنا أن طبيعة الاستدعاء للشخصية في النص هو الذي يحدد نوعها، فعنترة مثلا شخصية أدبية عندما يستدعى بوصفه شاعرا، ويكون شخصية أسطورية عندما يضفي عليه الشاعر في نصه نوعا من الأساطير المعروفة في الحكي الشعبي، ويصبح شخصية سياسية عندما يستدعي الشاعر دوره في الحياة القبلية، وما ينطبق على شخصية عنترة ينطبق على الكثير من الشخصيات.

كما تنبغي الإشارة إلى أن استدعاء الشخصيات التاريخية الكثيف في الشعر المعاصر ليس لغاية فنية صرفة، بل إنه كان محاولة من الأدباء للهروب من الحاضر الباعث للخزي والذل والصغار بعيوب الهزيمة، وطلب العون والقوة والنصر من الماضي رمز العزة والكرامة، وكأن الشعراء يحاولون كذلك من هذا الاستدعاء عقد مقارنة بين ظلامية الحاضر وإشراقة الماضي.

يقول عثمان لوصيف في قصيدة طويلة بعنوان لامية الفقراء. ديوان **الكتابة بالنار** (ص20)

أبو ذر بنا يطوى الفيافي

و نبقى للـرحيـل ولليالى

و عنترة يخوض بنا المنايا

ويضرم فى العبيد لظى النزال

وعروة يوقظ الفقراء فينا

و يشحذ للصعاليك العوالى

والملاحظ أن الشاعر هنا استحضر هذه الشخصيات استحضارا تاريخيا لارتباط كل شخصية بقضية معينة كانت تتبناها وتدافع عنها.

– **أبو ذر الغفاري:** هو أحد أشهر الشخصيات في التاريخ الإسلامي، كان صحابيا يقوم بدوره في الحرب والسلم، لكنه منذ البداية عُرف بالزهد والقرب من الفقراء، ونبذ التبذير والإسراف، اكتفى بزوجة واحدة ولم يتسر، حيث لم تكن عنده لا جواري ولا عبيد، فهو ممن حرم الرق على نفسه، كما حرم نفسه من تعدد الزوجات، (ينظر،جدو، www.aljazeera.net)

والشاعر هنا يستحضره بصفته مناضلا اجتماعيا، يحركه وعي طبقي وحس إنساني، يذود به عن الفقراء، بل يتصور نفسه تحت رايته يخوض معه غمار هذه المعركة ضد الظلم والاحتكار، لا يخش في ذلك لومة لائم.

– **عنترة بن شداد:** هو أحد شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام، الشاعر والفارس والعبد الذي كانت حريته هي قضيته الأولى وهمه الأساسي الذي فتن شعراءنا فحاولوا أن يعبروا من خلاله عن بعض قضاياهم الاجتماعية ذات البعد السياسي

والشاعر استحضره هنا لهذا الغرض، فعنترة تحرر من عبوديته ونسب لأبيه بفضل شجاعته وإقدامه.

– **عروة بن الورد:** الشاعر الفارس الصعلوك الجواد الذي كان يلقّب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم وقد قال عنه الوليد بن عبد الملك" من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد"وقد أصبح عروة في اعتبار شعرائنا رمزا للمصلح الاجتماعي الثائر، وهو كذلك رمز أولئك الذين يلجئون إلى القوة في استخلاص حقوق الفقراء.

وكأن الشاعر هنا في هذه القصيدة يتجسد في كل هذه الشخصيات التي ذكرها فهو يتقشف كأبي ذر ويقاتل كعنترة ويناضل كعروة، وهو فوق ذلك متصوف عاشق.

الأحداث التاريخية:

جاء في ديوان براءة (ص28)، استحضار قصة ملوك الطوائف.*

وهذه الجماجم المحشوة قاتا وخشخاشا

بعرا وصوفا

حشفا ونفطا

وحررنا..آه حررنا من عرف ملوك الطوائف

وسلطان شيخ القبيلة.

فالشاعر هنا يوجه نقدا سياسيا ساخرا للأمة العربية ممثلا تشتتها وتناحرها وفرقتها بتشتت دويلات الأندلس على يد ملوك الطوائف ولكن لا وجود ليوسف بن تاشفين في عصرنا حتى يلملم الشمل من جديد ويقضي على الفرقة ويعيد للأمة عزتها.

6.خاتمة

التناص ليس مجرد ترف فكري، أو لعبة لغوية مجانية، بل له جمالياته التي يضفيها على النص الأدبي، منها تكثيف التجربة الشعرية، بعث التراث وإحيائه وجعل النص الأدبي منصة لحوار الحضارات.

يتجلى التناص في شعر عثمان كآلية مركزية لإنتاج المعنى وبناء الدلالة، وقد انفتح شعره على تناصات متعددة المشارب تكشف عن وعي ثقافي موسوعي لدى الشاعر منها:

تناصات دينية استلهم فيها الكثير من القصص القرآني وآي الذكر الحكيم ومفرداته مما يدل على تشبعه بالدين الإسلامي.

تناصات أدبية تنوعت بين أدب قديم وحديث، استحضر فيها الشاعر مقاطع شعرية موظّفا إياها لذاتها ولمعانيها القريبة من رؤاه، مستلهما المعاني في بعض الأحايين، كما استحضر العديد من الشخصيات الأدبية التي تشاركه التجربة الشعرية والشعورية.

تناصات أسطورية وتاريخية عبر استدعاء شخصيات أسطورية وأخرى تاريخية ليس لمجرد الزخرفة بل وظّفهم كأقنعة رمزية تعبّر عن الذات الشاعرة في صراعاتها وتمردها وتوقها إلى التغيير .

تناصات مكانية /حضارية استحضر من خلالها أماكن مثل الأندلس، مكة، بابل، وهران غرداية، الأوراس وهي أماكن لا تحضر فقط كجغرافيا بل كرموز للحضارة والوطن والانتماء.

تناصات صوفية حيث يتجلى في شعره حضور صوفي عميق عبر مظاهر رمزية وتموّجات لغوية طغت على معظم دواوينه، وصوفيته صوفية إيجابية لا سلبية فقد جاءت مزيجا بين المعرفة والاحتراق بين التأمل والتمرد وإرادة التغيير.

*ملوك الطوائف: حكموا الأندلس مدة82 سنةمن سنة(400هـ- 482هـ)، وكانت فترة حكمهم مليئة بالخيانات والغدر والصراعات، وتعد من أسوأ الفترات التي شهدتها الأندلس منهم(بنو عامر،بنو زيري،بنو عباد...) قسمت الدولة إلى 22 دويلة، ورثت تلك الدويلات ثراء الخلافة إلا أن عدم استقرار الحكم فيها والتناحر المستمر جعل منهم فريسة لمسيحي الشمال، للاستزادة ينظر راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 2011، ص322-515.

تفنن الشاعر عثمان لوصيف في توظيف النصوص الغائبة واستدعاء الشخصيات والنصوص على تنوعها، حيث نسج من التراث والدين والأسطورة والتاريخ والمكان نسيجا شعريا حداثيا استنطق من خلاله الماضي لمجابهة الحاضر، جاعلا من الشعر فعلا معرفيا ورساليا.

المراجع:

1. ابن منظور،جمال الدين، لسان العرب،دار صادر بيروت، لبنان، (ط1)،1919،ج7.
2. أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، تح محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،2005.
3. أحمد الزعبي، التناص –نظريا وتطبيقيا–مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية "رؤيا" لهاشم غرايبة وقصيدة "راية القلب" لإبراهيم نصر الله، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2000.
4. أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد دراسة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط1، 2004.
5. أنس داوود، الأسطورة في الشعر المعاصر، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1975.
6. بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر.
7. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، المؤسسة الثقافية للتأليف والنشر، بيروت، لبنان.
8. ديوان نمش و هديل دار هومة الجزائر (د) (ط)، 1997م.
9. راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 2011.
10. شعر الحطيئة، تحقيق وشرح، عيسى سابا، مكتبة صادر بيروت،1951.
11. طلال حرب، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1999.
12. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،1997.
13. عن محمد الصالح بوعمراني، أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2006.
14. عنترة بن شداد، ديوان عنترة، تح محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، مصر، 1964.
15. محمد سعدون، مع الشاعر عثمان لوصيف، أيام وأصداء..، دار خيال للنشر، برج بوعريريج، الجزائر،2021.
16. محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،مصر،ط1، 1995.
17. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992.
18. وليد مشوح تجليات التاريخ عند عمر أبي ريشة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس سبتمبر2007.
19. يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق بوزياني دراجي، ج3.
20. أحمد ولد جدو رحلة أبي رحلة مع أبوذر الغفاري المشاعي الزاهد: https://www.aljazeera.net/blogs